المحاضرة السابعة

الأسباب والعوامل المؤدية إلى تعاطي المخدرات:

أولا ــ الأسباب المساعدة على انتشار المخدرات في العالم:

يتجلى الاهتمام بقضايا المخدرات بشكل أساسي في تحليل الأسباب و العوامل التي تؤدي الى انتشار ظاهرة تعاطي المخدرات على المستويين الفردي و الاجتماعي، ذلك أن العمل على معالجة مشكلات الإدمان و الحد من انتشار الظاهرة و حماية المجتمع من أخطارها، إنما هو رهن بمقدار التقدم في معرفة الأسباب التي تؤدي الى انتشارها، و الملاحظ في الدراسات العديدة التي أولت اهتمامها بالأسباب المؤدية الى انتشار الظاهرة أنه ليس من اليسير تحديد عامل أساسي مباشر يمكن أن يفسر الأسباب التي دعت الفرد الى التعاطي، ذلك أن الأسباب التي تؤدي الى انتشار الظاهرة متنوعة بدرجة كبيرة، و تختلف بين فرد و آخر و بين مجتمع و غيره.

و يشكل توفر المادة المخدرة عاملا في انتشار ظاهرة تعاطي المخدرات، فليس من الممكن تناول المخدر دون إمكانية الحصول عليه، فكلما توفرت المادة و سهل الحصول عليها، كلما ارتفعت نسبة التعاطي و الإدمان، فإدمان الخمور على سبيل المثال منتشر بين العاملين في الحانات و المطاعم التي تقدم المشروبات الكحولية، و بين العمال في مصانع تقطير الخمر و موظفي الجمارك و التجارة، كما ينتشر تعاطي المورفين و المنومات بين الأطباء و الصيادلة و أفراد الهيئات التمريضية و عمال شركات الأدوية، غير أن طبيعة المادة المخدرة، بوصفها الأساس في عملية التعاطي، لا تشكل عاملا كافيا، على الرغم من ضروريتها، و غياب إمكانية انتشار الظاهرة بدونها، ذلك أن الخصائص و الصفات التي يحملها الناس، و تباين هذه الصفات بينهم يجعل بعضهم يقبل على التعاطي بقوة، و يمنع بعضهم الآخر من ذلك على الرغم من وجود المادة نفسها، مما يدل على أن المادة المخدرة لا تشكل بحد ذاتها عاملا من عوامل التعاطي بمعزل عن البيئة المحيطة، و بمعزل عن الإنسان نفسه.

و نلخص أسباب انتشار المخدرات في العالم كالآتي:

1ــ التطور الحضاري السريع: و ما يتبعه من تحولات في القيم الحضارية السائدة، و تأثر القيم الاجتماعية و المعنوية، و تفاوت العادات و التقاليد نتيجة لتغير الأوضاع الاقتصادية و الثقافية و التعليمية، مما يجعل الفرد عرضه للاجتهاد في تبرير سلوكه.

2 ــ نظرة المجتمع للمادة المخدرة:

تعد نظرة المجتمع إلى المادة المخدرة عاملا أساسيا من عوامل انتشار المخدر، فتعاطي الكحول في الثقافات غير الإسلامية يعد مقبولا، ولهذا ينتشر تعاطيه بكثرة، بينما ينظر المجتمع الإسلامي إلى تعاطي الكحول على أنه خروج عن الشريعة، وخروج عما هو مألوف في الحياة الاجتماعية، ومن الطبيعي أن تأتي درجة انتشار تعاطي الكحول منخفضة بالموازنة مع ما هي عليه في المجتمعات الأخرى .وقد بقي تعاطي المخدرات حتى بدايات القرن العشرين مقبولا في الكثير من المجتمعات الأمر الذي كان يساعد في انتشاره على نطاق واسع. مثلا لا يكون هناك حرج أبدا من الاتجار بالخمر وشربه في المجتمعات الغربية، لذلك يكون احتمال الإدمان عليه كبيرا ، على عكس المجتمعات المسلمة التي يحرم فيها الدين شرب الخمر وبيعها ويمقت المجتمع كل من له علاقة به، وهذا ينقص احتمالات الإدمان.

3 ــ التأثر بالحضارات الأخرى: كالتقليد و المحاكاة في العادات و القيم الاجتماعية، عن طريق الاحتكاك المباشر بالزيادة أو العمل، أو عن طريق وسائل الإعلام من كتب و صحف و إذاعة مسموعة و مرئية ...الخ.

4 ــ غياب التوجيه الأسري: نتيجة انحراف الآباء وراء سعيهم الدائب للرزق و التحصيل المادي، مما يوجد فراغا في توجيه النشء و يدفعهم الى الإتكالية.

5ــ الفجوة بين الأجيال: إن الفجوة الثقافية و التعليمية بين بعض الفئات في المجتمع قد يؤدي الى عدم الانسجام بين الأجيال أو بين أفراد الأسرة الواحدة، و تسبب الصراعات و القلق و التوتر الذي يدفع للانحراف و تعاطي المخدرات.

6 ــ الظروف الصعبة أو المواقف الحرجة: و هذا ما أمكن ملاحظته من ظاهرة انتشار المخدرات بين السائقين و العاملين لساعات طويلة للتغلب على الاجتهاد الجسمي و الذهني، و كذلك تعاطي بعض الطلاب للمنبهات استعدادا للامتحانات لتساعدهم على السهر والمذاكرة و الاستيعاب.

7 ــ أوقات الفراغ المملة: حيث يعاني بعض الشباب من أوقات الفراغ الطويلة، مما يدفع البعض الى تعاطي بعض الحبوب المنشطة أو المهلوسة لإحداث أمزجة و مشاعر خاصة، تساعدهم على الاستمتاع بأوقات الفراغ.

8 ــ التقليد والمحاكاة و التفاخر: وذلك بين الشباب في سن المراهقة المتأخرة، و بداية سن الشباب، حيث تبين أغلب الدراسات الاجتماعية وتقارير رجال مكافحة المخدرات أن أغلب المتعاطين من الشباب كان بغرض حب الاستطلاع و التجريب.

9 ــ الهجرة: و ما يتبعها من ضغوط في الحياة الجديدة، أو التأثر بالحضارة الجديدة مما يدفع البعض لتعاطي المخدر، إما بغرض الاسترخاء أو بغرض مجاراة المجتمع الجديد.

10- توفر المخدرات وسهولة الحصول عليها: من بين الأسباب الخاصة التي أدت إلى انتشار المخدرات سهولة الحصول عليها سواء كان بالطرق غير القانونية كالتهريب ، كما أن القائمة المتواجدة اليوم لدى الصيادلة والخاصة بالأدوية المتعلقة بالأمراض العقلية غير مفعلة، حيث يتم بيع هذه الأصناف من الدواء دون معايير خاصة وإجراءات احترازية، وهو ما يجعل البعض يعمل على تحويلها عن المسار الذي وجدت لأجله، ويستغلها كمخدرات عبر استهلاكها مباشرة أو مزجها بأدوية أخرى، ومثال على هذه الأدوية تناول "ليريكا "و"البريجابالين "، كما أن قانون الصحة لا يصنفها ضمن الأدوية المهلوسة الممنوعة، وتتداول هذه الأدوية بشكل كبير عند فئة الشباب والمراهقين وبتسميات مختلفة كالصاروخ، الزومبي...الخ

ثانيا ــ العوامل المؤدية الى تعاطي المخدرات :

تختلف العوامل التي تؤدي إلى تعاطي المخدرات والإدمان عليها بين آن وآخر في المجتمع الواحد، وبين مجتمع وآخر في الآن نفسه، فالعوامل التي كانت تدفع إلى تعاطي المخدرات والمؤثرات العقلية في الماضي، ليست هي نفسها التي تؤدي إلى التعاطي في الوقت الراهن ، بحكم اختلاف الشروط الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لحياة الناس، ويمكن التمييز في هذا الصدد بين مجموعة من العوامل نذكر منها ما يأتي:

1- العوامل النفسية:

من طبيعة النفس البشرية البحث عن الفرح والسرور والابتعاد قدر الإمكان عن المشاكل والمتاعب والهموم، غير أن بعض اضطرابات الشخصية من الممكن أن تحرض تعاطي المواد المخدرة والإدمان عليها، إما بسبب أن شخصية الفرد تكون أكثر قابلية هنا للعطب وتعاطي المخدرات، أو لأن هذه الشخصية تجد في المواد المخدرة سبيلا لتغيير وتعديل الحالة النفسية، حيث نجد أن شخصية متعاطي العقاقير تتسم بمجموعة من السمات سواء كانت هذه السمات سببا أو نتيجة، وتشتمل هذه السمات على العدوانية،الاندفاعية، السيكوباتية، انخفاض تقدير الذات، الاكتئابية، والانطوائية .من هنا يرى البعض أن تعاطي المخدرات والإدمان عليها يرجع إلى البنية الشخصية للفرد، إذ أن هناك شخصيات مضطربة تميل أكثر إلى الإدمان، والذي يعتبر تبعا لذلك عرضا لعدم التوافق العام للشخصية، كما يعتبر طريقة من الطرق التي تعبر بها الشخصية عن اضطرابها.

كما تشير بعض الدراسات لأهمية العوامل النفسية في تفسير ظاهرة الإدمان على المخدرات ومنها نذكر:

- يمكن أن ترجع لظاهرة الطفولة حيث عدم الاستقرار العاطفي بين أفراد الأسرة والخلافات المستمرة بين الوالدين، وعدم تقديم الاهتمام بالدرجة المتوازنة للأبناء.
- نقص الصفات اللازمة للتكيف مع ظروف الحياة وتحدياتها خاصة في مرحلتي المراهقة والشباب.
- الإحساس بالاغتراب الاجتماعي والتقاطع مع قيمه.
- وجود مواصفات جسدية أو نفسية تدعوا الأشخاص إلى تعاطي المخدرات وإدمانها، وهذا عادة بوجود اضطرابات شخصية مثل :الاعتماد على الآخرين أو العودة إلى عالم الطفولة.

2- العوامل الاجتماعية:

فالمجتمع الذي يتصف بتنوع الثقافات المؤثرة فيه، و بنشاط فاعل لجماعات المصلحة، و تبعثر الانتماءات، أكثر عرضة لتيار التعاطي، بينما يسهم قيام المجتمع على أسس ثقافية و حضارية، يتمثلها الأفراد بسلوكهم و وعيهم الاجتماعي في حماية المجتمع من خطر التفكك، و من خطر جماعات المصلحة، و من خطر انتشار الظاهرة على نطاق واسع ، و من أهم العوامل الاجتماعية التي تتحدد طبيعة ومدى انتشار ظاهرة تعاطي المخدرات نجد :

أ-العوامل الأسرية: الإنسان اجتماعي بطبيعته،لا يطيق العيش بمفرده مطلقا لذا فأول ما يتأثر به ويوجه سلوكه الاجتماعي ما يتلقاه من محيط أسرته فلذلك تأثير على تكوين شخصيته وتحديد سلوكه في المستقبل ،فالعلاقات الأسرية تلعب دورا هاما في مشكلة تعاطي المخدرات، حيث تكشف الدراسات عن وجود علاقة قوية بين العلاقات الأسرية و بين احتمال تعاطي الفرد للمخدرات ،فإن نما في أسرة سعيدة فإنه ينشأ سويا بعيدا عن العقد والانحراف والشذوذ .أما إذا نشأ الطفل في بيئة أسرية تسودها الخلافات بين الأبوين ،وبالتالي يكون كل هذا على حساب العناية والاهتمام بالأبناء وتكون النتيجة في الغالب سببا في الانحراف ووقوع الأبناء في تعاطي المخدرات كما أن القسوة أو اعتياد الأسرة على المخدرات فإن ذلك سوف يؤدي حتما إلى انحراف الشخص عندما يكبر ولا يتمكن من التكيف مع مجتمعه .ومن بين العوامل الأسرية أيضا المساعدة على تعاطي المخدرات والإدمان عليها هو غياب التوجيه الأسري، فانشغال الوالدين عن تربية أبناءهم بالعمل أو السهر أو بعدم متابعتهم مراقبة سلوكاتهم يجعل الأبناء عرضة للضياع والوقوع في هاوية الإدمان، لان هذا يمكن الأبناء من الخروج بدون رقابة فيختلطون بأناس غير صالحين، ولاشك انه مهما كان العائد المادي من وراء العمل فانه لا يعادل الأضرار الجسيمة التي تلحق بالأبناء نتيجة عدم رعايتهم.إضافة إلى أن القدوة السلبية من قبل أحد الوالدين يعدمن أهم العوامل الأسرية التي تدعو الشباب إلى تعاطي المخدرات والمسكرات، ويرجع ذلك إلى انه حينما يظهر الوالدين في بعض

الأحيان أمام أبنائهم في صورة مخجلة، تتمثل في إقدامهم على تصرفات سيئة وهم تحت تأثير المخدرات، ذلك يسبب صدمة نفسية عند الأبناء تدفعهم إلى محاولة تقليدهم، وهذا ما يدفع بالأبناء إلى الانحراف والضياع.

ب- رفقاء السوء: حيث أظهرت كثير من الدراسات التي اهتمت بموضوع تعاطي المخدرات أن من أهم الأسباب المؤدية إلى ذلك هي تأثير رفقاء السوء سواء في الترغيب أو الحث أو التقليد أو تيسير فرص وكشفت احد هذه الدراسات انه ومن خلال الإحصاء عن الأسباب الحقيقية لتعاطي المخدرات تبين أن اغلب الأسباب يعود بالتسلسل إلى رفقاء السوء،التفكك الأسري والإهمال، ضعف الرقابة الأسرية...الخ

ج- وسائل الاتصال: قد تساهم وسائل الأعلام في عرض صورة مضللة فيما يتعلق بتعاطي المخدرات مما قد يساعد على تشويش ذهن المشاهد وعدم وضوح الرؤية الحقيقية لدية ، فقد تكون الفكرة المعروضة في الأساس غير حقيقية كأن يعرض الفيلم السينمائي أو المسلسل التلفزيوني أساليب تعاطي المخدرات وأدواتها والنشوة الايجابية التي تأتي من التعاطي والراحة التي يشعر بها المتعاطي وكأن التعاطي هو وسيلة للشعور بالراحة والتخلص من الهموم والضغوط النفسية ، وقد تعرض الفكرة بشكل متناقض عن الواقع وكما يصور المسلسل أو الفيلم أو الكاتب أمرا مقبولا اجتماعيا .وتذكر دراسات ميدانية استهدفت فئة عريضة من الشباب في المدارس والجامعات أن وسائل الإعلام(الراديو والتلفزيون والصحف)تأتي في مرتبة بعد مرتبة الأصدقاء مباشرة، كمصدر يستمد منه الشباب معلوماتهم عن المخدرات بجميع أنواعها، كما أوضح نفس المصدر وجود ارتباط إيجابي قوي بين درجة تعرض الشباب لهذه المعلومات واحتمالات تعاطيهم هذه المخدرات.

د- ضعف الوازع الديني: يشكل ضعف الوازع الإيماني لدى الفرد دافعا وعاملا قويا من عوامل اللجوء الى تعاطي المخدرات، فالفرد المتعاطي للمخدرات يلازمه التفكير بعدم تحريم المخدرات ، كما يرتبط هذا بعدم الالتزام بالقيم والأخلاق والعادات الإسلامية السائدة في المجتمع .وضمور الوازع الديني ناجم عن ضعف ثقافته الدينية، وعدم تمثله ما تغرسه العقيدة في النفس من قيم وأخلاق، وجميع مؤسسات المجتمع هي المسؤولة عن ذلك.

ه- تأثير الحي السكني: ما من شك أن للحي السكني دور كبير، فقد أثبتت دراسات كثيرة على أن طبيعة المنطقة السكنية لها تأثير سلبي كبير إذ ما كانت المنطقة موبوءة، وتكثر مثل هذا في المناطق الهامشية أو الفقيرة أو مناطق عشوائية نتيجة ما تعانيه من أمراض صحية ونفسية واجتماعية، وأزمات اقتصادية كما أن لشروط المسكن السيئ أيضا اثر كبير في إقامة فرص الانحراف ، الذي نراه هنا في تعاطي المخدرات، ويجب عدم تجاهل أن فرص الانحراف في الريف اقل منها في المدن.

و-البيئة المدرسية: المدرسة هي البيئة الثانية للطفل، و فيها يقضي جزءا كبيرا من حياته، يتلقى فيها صنوف التربية و ألوان من العلم و المعرفة، فهي عامل جوهري في تكوين شخصية الطفل و تقرير اتجاهاته و سلوكه و علاقاته بالمجتمع الكبير، فالطفل في المدرسة إذا لم يجد ما يشبع رغباته و يلاءم قدراته و يحقق آماله يشعر بالملل و الضيق و فقد الاهتمام بدراسته، و قد ينزلق الى الإهمال و المشاغبات و العبث،

و يعزف عن الانتظام في المدرسة، و هنا قد يؤدي الى الانزلاق في تيار الجريمة والمخدرات إضافة الى توافر المادة المخدرة و سهولة الحصول عليها و رخص ثمنها ، حيث يجب الأخذ في الاعتبار ديناميات الأطفال و المراهقين الذين يقبلون على هذا النوع من التعاطي، و الأسباب النفسية المتعددة و التي أهمها الرغبة في لعب دور الرجل، و محاولة الظهور على نحو راشد. وبالتالي لا بد أن تفتح المدرسة بين جدرانها طاقات الفرد وكفاءاته، وعليها أن توفر المدرسين المتخصصين في شؤون تربية المتعاطين.

3- العوامل الاقتصادية:

أدت الأسباب الاقتصادية دورا أساسيا في انتشار المخدرات على نطاق واسع، حيث تقوم دول عدة بزراعة وإنتاج أنواع شتى من المخدرات للحصول على أرباح منها، حيث تباع وتصدر إلى الدول الأخرى للاستفادة منها في النواحي الطبية، كما أنها تهرب وتباع في السوق السوداء بأثمان باهظة.كما إن مشاكل الفقر ومرارة العيش ومشاكل العمل المختلفة كالطرد وانخفاض الأجور مقابل ارتفاع الأسعار كل هذه العوامل تكون أسبابا لتعاطي المخدرات كأحد أنواع الهروب من تلك الضغوط.

وتعد مشكلة البطالة أيضا من بين المشاكل التي تطرح نفسها على مستوى كل المجتمعات خاصة عندما يتعلق الأمر بخريجي الجامعات، ليزداد الوضع تأزما وتعقيدا عندما يعقد البطال مقارنات بينه وبين الآخرين، حيث قد تترسخ بذهنه بعض القناعات التي مفادها أن الاستفادة من العلم وقضاء فترة بين مقاعد الدراسة يدرج في خانة مضيعة للوقت لعدم التمكن من تحقيق التطلعات، إذ قد يحقق البعض من الأفراد طموحاتهم دون الاستفادة الوافرة من العلم(العمل الحر، السيارة، الزواج، رصيد مالي).. لذا يتوجه البعض إلى اعتماد المخدرات لتناسى الفشل في توكيد الذات والعجز في تحقيق التطلعات والطموحات.